

الأوبئة في الجزائر العثمانية قراءة أنثروبولوجية دينية في محتوى المصادر التاريخية

The Epidemics in the Othmanic Algeria religious Anthropological reading in the historic resources

فلاح سفيان^{*1}

¹جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

sohaib20_6@hotmail.com

عضو باحث في مخبر مصادر وتراجم جامعة وهران 1 (الجزائر)

حمدادو بن عمر²

²جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

sidehmeddh1976@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/03/16

تاريخ الاستلام: 2021/01/25

ملخص:

يتناول موضوع هذا المقال الأوبئة والأمراض برؤية تاريخية، أنثروبولوجية ودينية، وهذا نظرا لاختلاف المفاهيم الاصطلاحية، والطبية، وحتى الدينية في المدونات التي اهتمت بشكل واسع بموضوع الأوبئة، وخاصة الطاعون، أو ما يتعارف عليها بأدبيات الطواعين، وأيضا ما تناوله المؤرخون المسلمون والأوروبيون في كتاباتهم عن الأوبئة، وما ذكر حديثا في مجال الأوبئة والطواعين مع الاكتشافات الطبية الحديثة، والتطور العلمي، وهذا ما يقودنا للحديث على جدلية الفرق بين الوباء والطاعون بشكل كبير، وما ذكره المختصون قديما وحديثا، مع تسليط الضوء على الأوبئة التي ضربت الجزائر خلال العهد العثماني كأنموذج، بحكم أن هذه الفترة الزمنية عرفت فيها الجزائر مجاعات وأوبئة عديدة في فترات زمنية متباعدة، وخصوصا إذا علمنا أن الأوبئة لم تكن وليدة البيئة الجزائرية وإنما دخيلة عليها، مع رصد معلومات هامة عن اهتمام الجزائريين بالطب، وأساليب العلاج المتبعة، وما ألف من مدونات عن الأوبئة في هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: الوباء، الطاعون، المصنفات الطبية الدينية، الجزائر العثمانية، الطب الشعبي

Abstract:

This short article deals with epidemics and illnesses in a historical, intropologic and relegious view, because of the different meanings either medecinal, or lexical, or even relegious in all the books that gave a great

* المؤلف المرسل: فلاح سفيان، الايميل: Sohaib20_6@hotmail.com

importance to the subject of epidemics especially the plague or what's known in literature by the plague. Also what muslims and europeans historians dealt with in their writings about epidemics, and what was said recently on epidemics field, and plagues with the recent medical discoveries, and scientific progress, and this leads us to talk about the difference between epidemic and plague, in a wide way , and what the specialists said before and now, and also to focus on the epidemics that touched Algeria during the othmans period as a sample since in this period, Algeria knew the spread of hungers, and epidemics especially that we all know that all the epidemics weren't Algerian made but they were taken from outside. Taking also into consideration that the Algerians gave importance to medecine and the ways of curing, and what was written in that period.

Key words: Epidemics; plague; medicinal and religious writings; Algerian othman's; popular medicine.

مقدمة:

الحمد لله الذي علمنا من العلوم ما به كلفنا، ثم الصلاة والسلام على آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

إن من سنن الله في هذا الكون أن ابتلى عباده بالحن والمصائب والمشاكل والأمراض والأسقام، وجعل لكل ضيق مخرجا ولكل مشكلة حلا، ولكل مرض دواءً وشفاءً، فكأنَّ هذا الإنسان يسير بين الفرح والحزن، والسرور والغبن، وكما كان هذا الإنسان من أعظم مخلوقات الله عز وجل اصطفاه بالخلق والعقل والتكليف والتدبير، وكان لا بدَّ على هذا المخلوق أن يحقق سنن الله في خلقه من تعلم وتعليم وعبادة وتسيير لشؤون النفس والحياة

وفي هذا الباب حاولنا أن نقدم بحثا تحت عنوان: (الأوبئة في الجزائر العثمانية قراءة أنثروبولوجية دينية في محتوى المصادر التاريخية). فمن المعلوم أن الدراسات الإنسانية سواء في علم النفس أو علم الاجتماع أو التاريخ حاولت أن تقرب الأصول الكلية بسبب انتشار الأمراض والأوبئة في حياة البشر وذلك سعيا منهم لإعطاء القيم المعرفية التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يتجنب تلك الأمراض الفتاكة ويسعى جاهدا للوقاية منها بكل الوسائل، ولما كانت كتب التراث والتاريخ والتي نَقَّب عليها عبر العصور علماء البشرية عامة، وعلماء الإسلام بخاصة، والتي من خلالها استطاع الباحثون أن يتصوروا القوالب والأسباب التي أوجدت العديد من الأمراض والأوبئة في تلك الفترات الزمنية المتباعدة، وخاصة في

الفترة الزمنية التي هي محل الدراسة أي حقبة الوجود العثماني في الجزائر، كان لا بد من طرح الأسئلة التالية: ما هي التعريفات اللغوية والاصطلاحية للأوبئة، وما هو الفرق بين الوباء والطاعون؟ كيف كانت نظرة علماء التاريخ والأنثروبولوجيا والدين خاصة الفقهاء للأوبئة؟ متى ظهر الطاعون في الجزائر العثمانية، وكيف أُنخ له من عاصره، وكيف كانت نظرتهم له؟ وهل اهتم الجزائريون بالطب خلال هذه الفترة، وما هي أساليب العلاج المتبعة خلال نزول الجوائح؟

وقد رصدنا خلال تطرقنا لموضوع الأوبئة إلى المؤلفات التي اصطلح على تسميتها بأدبيات الطاعون وتصنف غالبا ضمن موضوعات الطب، حيث نلاحظ سيطرة الخطاب الفقهي عند التطرق للجوانب المرتبطة بالأوبئة وخاصة الطاعون، كما أن لعلماء الدين نظرة موسعة في كيفية علاج الأمراض وتجنب الأوبئة وهو ما عرف عند فقهاء المسلمين وعامتهم بالطب النبوي، وذلك من خلال اعتمادهم لبعض القوانين والأصول الكلية التي أمر الشارع الحكيم باتخاذها أسبابا للوقاية من الأمراض والأوبئة، وهو متعارف عليه في مقاصد الشريعة الإسلامية ب: حفظ الدين، النفس، العقل، النسل والمال.

ولعل الهدف من وراء هذه الدراسة هو تسليط الضوء على جانب مهم في حياة الإنسان والذي يتعلق بالأوبئة التي تعرضت لها البشرية في فترات زمنية سابقة، وأيضا تبيان الفرق بين الوباء والمرض، وماهي العلل التي تصنف كأوبئة فليس كل مرض وباء، هذا إضافة إلى التعرف على الأوبئة التي ضربت الجزائر خاصة وباء الطاعون وذلك في فترة مهمة من تاريخها وهي فترة الحكم العثماني للجزائر وكيف واجه الجزائريون هذه النوازل، وقد ألقينا نظرة على أهم المؤلفات الجزائرية التي كُتبت في هذا المجال.

وتبعا لذلك سنعتمد في مشروع بحثنا هذا على المنهج التوصيفي المعتدل وهو المنهج المناسب عمليا إذ يتصف بالوسطية لابتعاده عن التطويل الممل والإيجاز المخل، هذا مع الاستئناس طبعاً بالمنهج التاريخي التحليلي الموسّع لأجل توفير المعلومات الأساسية عن الاصطلاحات التعريفية والأوبئة التي ستكون محل الدراسة.

أولاً: التعريفات اللغوية والاصطلاحية للوباء

1 تعريف الوباء لغة:

يعرف الوباء في اللغة بأنه كل مرض عام، (يمد ويقصر)، وجمع المقصور أوباء، وجمع الممدود أوبئة، وقد وبئت الأرض توباً فهي مؤبوءة إذاكثر مرضها، وكذلك وبئت توباً وباءة فهي وبئة على فعلة وفعلية، وأوبأت أيضا فهي موبئة، واستوبأت الأرض، وجدتها وبئة. (ابن منظور، 1968، صفحة 190) ويطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف، فيقال: احذر القرف في غنمك، وقيل القرف هو العدوى، فأقرف الجرب الصحاح أعباها (الجوهري، 1990، صفحة 280)، ويطلق على الوباء أيضا لفظ الموتان "وذلك على المجاز إذ أصله في اللغة الموت يقع في الماشية (وتقييده بضم الميم). (ابن خاتمة، 1988، صفحة 162)

2 تعريف الوباء اصطلاحاً:

أما مفهوم الوباء في الاصطلاح الطبي فإن كل المصنفات الطبية الإسلامية في العصور الوسطى لا تكاد تخلو من التفاتة علمية إلى مثل هذه الأمراض، فيذكر ابن زهر أن الناس قد اعتادوا على إطلاق اسم الوباء "على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم" خاصة وأن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه، ولهذا إذا كان الهواء فاسدا عم المرض أهل ذلك الموضع أو عم أكثرهم. (المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1992، صفحة 143)

ولعل أهم التعريفات الاصطلاحية ما ذكره صاحب كتاب غريب الحديث بقوله: «..... المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان....» (أبي السعادات، 2000، صفحة 564)، وقد عرف العسقلاني الوباء والطاعون في فتح الباري بقوله: «...والحاصل أن حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده، وأن غير ذلك من الأمراض العائمة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض وكثرة الموت، ومن أطلق على كل وباء طاعون فبطريق الإيجاز...» (العسقلاني، 2005، صفحة 131)، وهنا يمكن الإشارة إلى أن هذا التعريف كان دقيقاً جداً في تبيان الفرق بين الطاعون والوباء من خلال وضع رابط مشترك بينهما وهو

انتشار المرض وكثرة الموت بسببه، غير أن الوباء أوسع من الطاعون فليس كل وباء طاعون، ولكن بالمقابل فكل طاعون هو وباء

وعرفه ابن الخطيب مع ذكر أعراضه بقوله: «هو مرض حاد حار السبب سمي المادة يتصل بالروح بدءا بواسطة الهواء، ويسري في العروق، فيفسد الدم ويحيل، رطوبات إلى السمية وتتبعه الحمى ونفث الدم، أو يظهر عنه خراج من جنس الطواعين» (ابن خلدون، 1997، صفحة 38)

ويعرفه داوود الأنطاكي (1008هـ/1605م) قائلا: بأنه تغير الهواء إلى الفساد (ابن خلدون، المقدمة، 2006، صفحة 282)، ومن التعاريف الاصطلاحية للوباء والطاعون في الدراسات المعاصرة، فنجد معجم "أكسفورد الطبي" يضع تعريف عام لكل ما له علاقة بالأمراض المتنقلة والأوبئة بإشارته إلى أن ظاهرة تفشي وانتقال الأمراض بين الناس تدرس ضمن نطاق ما يعرف حديثا بعلم الأوبئة epidemiology وهو علم لم يعرف بشكله الحالي -المنفصل بذاته- وفق نظرياته ومناهجه المحددة إلا في الفترة المتأخرة. (porta, 2001, p. 94)

أما لفظ الموتان مثلما نجده عند ابن خلدون والذي يعني الوباء أيضا فإن معناه الاصطلاحي شمولية الموت من هذا المرض المفاجئ في الإنسان والماشية، وباقي الحيوانات الأخرى على حد سواء، وقد اصطلح على الأوبئة أيضا بالأمراض الوافدة «...لأنها قادمة على الناس من بُعد مع الهواء ليست من جهة مطعوم ولا عرض نفساني وشبه ذلك...» أو لكونها أيضا أمراض عامة تشمل وفدا كبيرا من الناس، (Biraben, 2001, p. 08)، أما المشرفي فعرفه قائلا: «...وهو (الطاعون) خروج شيء في مغايب الإنسان كإبطيه يشبه الجوزة، يسود ما حولها أو يحمر مثلًا...» (المشرفي، 2014، صفحة 42)

ومن ثم فإن أغلب المفاهيم العلمية لمصطلح الوباء لم تتعارض فيما بينها، وتتفق على أنه مرض عام ناتج عن سبب رئيسي مشترك هو (فساد الهواء)، ولا يختلف مفهوم الوباء كثيرا عما كان معروفا عليه عند الأطباء المسلمين في العصور الوسطى وما هو معروف عليه الآن، سوى بعض الاكتشافات العلمية الجديدة التي خطا بها الطب الحديث في ميدان علم الأوبئة، فهو أيضا مرض عام مشترك بين الإنسان والحيوان تسببه بكتيريا، أو فيروسات تختلف حسب نوع المرض الوبائي، وتكون سريعة الانتشار من الشخص المصاب إلى الشخص السليم، عن طريق عدة وسائط أهمها: الماء والهواء، وبعض الحيوانات

القارضة كالجردان، والكلاب البرية، والسناجب والأرانب (الموسوعة العربية الإسلامية، 1999، الصفحات 27-48)

ثانياً: جدلية الفرق بين الوباء والطاعون

إن الاختلاف المرتبط بتعريف الطاعون وعمومية المعلومات التي نصادفها في المصادر العربية يتحدد على مستوى المصطلح، فنجد لفظ الوباء يرد باستمرار عند ذكر أي مرض فتاك سواء أكان طاعوناً أم حمى وبائية أو أي مرض وبائي يتميز بالانتشار الواسع وحصد أعداد كبيرة من الضحايا، هذا الاختلاف والتباين في التعريفات كان له ما يقابله في المصادر الأوروبية سواءً منها الإغريقية التي استعملت مصطلح *loimos*، أو *loimia* (Renauld, 1934, p. 05)، أو اللاتينية التي استعملت مصطلح *pestis* للدلالة على كل الأمراض البشرية خاصة الأوبئة الخطيرة، وأصبح هذا اللفظ منذ الطاعون الأسود في منتصف القرن 14م دالاً فقط على الطاعون الذي يحصد أعداداً كبيرة من الضحايا، كما سمي أيضاً بالعدوى والوفاء، ولكن بعض المؤلفين استمروا في استعمال المعنى القديم للمصطلح لفترة ما بعد الطاعون الأسود - 505 pp. (Dictionnaire des sciences historiques, 509)

وعندما يتحدث العربي المشرقي عن المعنى اللغوي للوباء يستشهد بالحديث النبوي: « الطاعون وخز أعدائكم من الجن »، ثم يذكر عدداً من الأحاديث النبوية والأحكام الفقهية ليخلص إلى أن الطاعون أخص من الوباء، ثم يذكر ويتبنى حكم ابن حجر العسقلاني بعد ذلك: « الوباء ينشأ عنه كثرة الموت ولما كان الطاعون كذلك أطلق عليه اسمه، فالوباء هو المرض العام » (المشرقي، 2014، صفحة 244)، وهنا يمكن الإشارة إلا أن الطاعون يدخل في مجال الأوبئة لأنه ينشأ عنه كثرة الوفيات، وهذا خاص بالأوبئة التي يمكن أن نقول أنها مرض يصيب عدد كبير من الأشخاص ويكون ذو عدوى شديدة وينتج عنه الوفيات فالوباء هو مرض عام، وهذا ما ينطبق على الطاعون أيضاً.

أما "Biraben" (بيرابن) فيقول أن ما اصطلح عليه بـ "Pestis" خلال التاريخ لا يعني بالضرورة دائماً مرض الطاعون "peste" حيث أن أغلبية الأمراض التي اجتاحت منطقة شمال إفريقيا آنذاك كان يطلق عليها هذا المصطلح، كما أن أغلبية الآفات المتسببة في ارتفاع عدد الوفيات كانت تسمى

"Pestis" دون التمكن من إثبات صحة ذلك (Biraben, 2001, p. 08) ، وقد صنف ابن زهر الأمراض المتوطنة في بيئة معينة إلى بيئية حضرية وهي كما يلي: أمراض وبائية، أمراض طاعونية، وتنقسم إلى هوائية (الوباء والموتان)، ومائية (الحميات، والأورام الطاعونية)، أمراض غذائية وتكون نتيجة التسمم الغذائي والمجاعة، أما الالتهابات والسرطانات وغيرها فصنفها أمراضا تختلف عن الوبائية والطاعونية (ابن زهر، 1983، صفحة 182)

فالمشرفي يصف طاعون 1798م كالتالي: «...وهو (الطاعون) خروج شيء في مغايب الإنسان كإبطيه يشبه الجوزة، يسود ما حولها أو يحمّر مثلاً... يقال له مرض الحبة يمرض الإنسان به أياما عديدة وربما يعيش...» (المشرفي، 2014، صفحة 180) ، وهناك وصف دقيق عند الناصري في مناسبتين الأولى عند ذكر وباء الكوليرا 1251هـ/1834م جاء فيه: «...وفي هذه السنة أي 1251هـ كان الوباء بالمغرب بالإسهال والقيء وغور العينين وبرودة الأطراف...»، أما الثانية فتخص وباء الكوليرا 1271هـ/1854م: «... وفي هذه السنة أعني سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، كان الوباء بالمغرب وهو إسهال مفرط يعتري الشخص ويصعبه وجع حاد في البطن والساقين ويعقبه تشنج وبرودة واسوداد لون، فإذا تمادى الشخص حتى جاوز أربع وعشرين ساعة فالغالب السلامة وإلا فهو الحتف...» (الناصر، 1956، الصفحات 45-69) ، وينقل المشرفي تعريفا للباقي بقوله: «.... الوباء هو الطاعون وهو مرض يعم كثير من الناس في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس، ويكون مرضهم واحد بخلاف سائر الأوقات...وأضاف عن أعراضه وما يصيب الشخص بعد وفاته.... هو دُمّل ظاهر في مرق الجسد، يموت به سخونا ولا تغور عينا المريض به، ويشخص بصره إلى السماء عند الموت إلى أن تخرج روحه كمريض الحمى وغيرها، وصاحب هذا المرض يموت مخمورا لا يتكلم ويطول سكره...» (المشرفي، 2014، الصفحات 192-193)، غير أنه لا يعني أن جميع أعراض الأوبئة والطواعين واحدة لكن الحقيقة والملاحظة العلمية تثبت غير ذلك، حيث أن أعراض الوباء لم تكن نفسها في جميع حالات الإصابة به، بل كان يختلف شكل المرض عند المصابين به حسب نوعية الوباء الموجود (Crouzet, 1822, p. 05)

أما الروايات الأجنبية التي عاصرت الطاعون في بداية القرن 19م لم تختلف في مجملها عن هذه التعريفات والأوصاف، وهذا يتضح من خلال ما ذكره جاكسون Jackson James Grey في وصفه لهذا الطاعون الذي ضرب المغرب بقوله: «... تبدأ أعراض الطاعون أحيانا برعشة مفاجئة قوية وأحيانا بهذيان مفاجئ يليه عطش قوي لا يرتوي ويتحول الماء البارد إلى ملاذ ويتلطف إليه المصابون بقوة وقهور، وقد أظهرت التجربة هلاك من استباح هذا الإسعاف اللحظي، كما تظهر دملة أو اثنتان أو ثلاثة وهي الدمامل التي تتشكل وتكبر خلال يوم لتصير في حجم الجوزة أو عين الجمل وآخرون تظهر بهم نفس العدد من الجمرات أو الفحومات والتي تتكون غالبا في المغبن والإبط أو قرب الصدر، أما المصابون بالرعشة المفاجئة القوية فلا تظهر عليهم دمل أو فحومات أو بقع ولا أي تشوهات خارجية إلا أنهم يهلكون حتما في أقل من أربع وعشرين ساعة» (Jackson, 1909, pp. 273-274) وحسب ما أقرته التأليف الطبية الإسلامية وكذا الطب الحديث فإن الطاعون ينقسم إلى ثلاثة أصناف وهي:

الصف الأول: ويسمى بالطاعون العقدي أو الدملي أو الدبلي، أي بمعنى الدمايل القاتلة، ويطلق عليه باللاتينية اس "Bubonic"، وهو مشتق من "Bubon" أي بمعنى الدبل (الخطابي، 1988، الصفحات 157-182) (Lepourier, 1992, p. 732)، وهو عبارة عن خراجات ناتئة تظهر في المغابن (ابن الأثير، 1979، صفحة 636)، واللحوم الرخوة من الجسم (ابن سينا، 1999، صفحة 75)، أي مكان الغدد اللمفاوية كما تعرف الآن في الطب الحديث .

الصف الثاني: ويسمى بالطاعون الرئوي، وهو الصف الذي أشار إليه ابن خلدون قائلا: «... فإذا كان الفساد قويا (فساد الهواء) وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة...» (ابن خلدون، مقنعة السائل عن المرض الهائل، 1997، صفحة 282)، فهو أشد أنواع الطواعين فتكا بالناس على الإطلاق، فلا يكاد يسلم منه أحد ولا علاج له في الغالب، لأنه يستهدف الرئة ويفرق عروقها ويهتكها «... لحدة الدم المنبعث إليها وكثرة مقداره وعجزها عن حصره...» (ابن خاتمة، 1988، صفحة 181)، وهو الذي ينجم أساسا عن استنشاق هواء ملوث ببكتيريا خبيثة تنقل غالبا عن طريق البلع أو عن طريق اللمس والاحتكاك بالحيوانات المصابة بالبوءاء، لتتطور البكتيريا داخل جسم الإنسان وتصبح

قادرة على الانتقال من شخص إلى آخر (Viole, 1921, p. 04)، وقد عرفت أعراض هذا المرض في بعض الأماكن بالطاعون الآسيوي-في آسيا- أو بالموت الأسود في أوروبا (laumonier, 1897, p. 02)، حيث تشير العديد من المصادر أنّ هذا الطاعون أو الوباء كان سببا في القضاء على ثلث سكان أوروبا في ثلاثينيات القرن الرابع عشر (chabrand, 1886, p. 02)

الصف الثالث: ويعرف في الطب الحديث بالطاعون الإنتاني، ويطلق عليه اسم "septicemic"، وتعني هذه العبارة "إنتان دموي" (ابن خاتمة، 1988، صفحة 181)، ويطبق عليه أيضا اسم "الطاعون الدموي أو التسممي"، وعبر عنه ابن خاتمة بالقروح السود، وهي قروح تظهر لأول مرة في الجلد على شكل نفاخات سوداء، أو تميل إلى الحمرة كأنها احتراق نتيجة حدوث نزيف في الجلد، ويصاحب ذلك ارتفاع شديد في درجة الحرارة، وهذه النفاخات ما تلبث حتى تنفجر بالماء، فتخلف بذلك نكت سوداء تنبع ماء، أو يصاحب ذلك تورم في مواضعها، أو ما حولها، وهذه الحروق هي اشد احتراقا من العقد التي تظهر في المغايب، ويظهر في الجسم كمادات سوداء كأنه محترق (الخطابي، 1988، صفحة 157)، وهو ينجم بشكل أساسي عن لدغة حشرة مصابة بجرثومة وهذا ما يؤدي إلى ظهور بثور على جسم الإنسان وهو الأكثر شيوعا في المناطق التي تكثر فيها البراغيث (Viole, 1921, p. 04)، ويرى بعض العلماء أن الطاعون ينشأ أساسا عن جرثومة هوائية تحيا في حرارة قصوى تصل إلى (25°) ويكون الانتقال السريع من الجسم الحامل لها إلى الجسم المحمولة إليه من خلال الأرومات الأكثر نشاطا وذلك عن طريق اللدغ، بحيث يمكن للعصية أن تخترق الغشاء المخاطي بسرعة وسهولة، إلا أنها لا تستطيع اختراق الجلد إلا إن لحقه خدش ما، ولو كان نتيجة بعوضة. (روزنبرجي و التريكي، 2013، الصفحات 183-184)

أما حديثا فنجد كما ذكرنا سابقا في تعريف الطاعون معجم "أكسفورد الطبي" الذي يضع تعريف عام لكل ما له علاقة بالأمراض المتنقلة والأوبئة بإشارته إلى أن ظاهرة تفشي وانتقال الأمراض بين الناس والتي تدرس ضمن نطاق ما يعرف حديثا ب (علم الأوبئة) (epidemiology) وهو العلم الذي لم يعرف بهذا الشكل إلا في الفترة المتأخرة، أي أنه أصبح علما قائما بذاته ويدرس جميع الأوبئة دون استثناء ودون أن تكون لها نفس المصطلحات، وإنما يكون ذلك وفق أسس علمية وطبية حيث أن هذا العلم يركز في

دراسته على شقين مهمين وهما انتشار الأوبئة والأمراض والعوامل التي ساعدت في ذلك، فتنقل العدوى بالأمراض المعدية بعدة طرق مثل:

- 1- الاتصال المباشر كما في حالة الأمراض الجلدية كالجرب أو في حالة الجماع كالزهري .
- 2- عن طريق الهواء كما في حالة إصابات الجهاز التنفسي، حيث تتم العدوى عن طريق الرذاذ المتطاير كالسل والإنفلونزا .
- 3- عن طريق الجهاز الهضمي بتناول الطعام والشراب الملوث كما في حالة الكوليرا والدوسنتاريا الأميبية .
- 4- عن طريق العوائل الناقلة مثل الطاعون الذي ينتقل عن طريق البراغيث، والحمى الصفراء والملاريا ومرض الفيل التي تنتقل عن طريق البعوض .
- 5- عن طريق اختراق الجلد، كما في حالة اختراق يرقات الدودة الخطافية للجلد، واحتراق الطور المعدي للبلهارسيا للجلد.

6- عن طريق المشيمة أثناء الحمل، كما في حالة الإيدز (شلدون، 2010، الصفحات 08-09)

كما لا يقتصر الاختلاف بين الأوبئة على الأعراض المصاحبة لها أو العدوى، وإنما يتعداها إلى التمايز الزمني بمعرفة المدة الزمنية التي يحتاجها الوباء للقضاء على المصاب أو الشفاء منه وتكوين جسمه لمناعة مضادة ضد الوباء، وهذا يختلف من شخص لآخر من حيث: نوعية الوباء، والحالة الصحية للمصاب إذا كان لا يعاني من أمراض سابقة أو العكس، أو هل لديه قدرة لتحمل الأمراض، وأخيرا الطريقة التي وصل بها الوباء إليه، فمثلا كان بعض المصابين بالطاعون لا تظهر عليهم الأعراض أبدا حتى يسقط المصاب مباشرة ويتوفى بعد فترة زمنية قصيرة، والعكس من ذلك كان بعض المصابين يتعرضون لمضاعفات وظهور دمايل في أجسامهم و حالتهم الصحية تكون سيئة ولكن كانوا يشفون بعد مدة زمنية. (سعيد، 2018-2019، الصفحات 28-29)

إن الخلط بين الوباء والطاعون لم يكن عند بعض اللغويين فقط، وإنما كان عند بعض الإخباريين كما رأينا، فالمصادر التاريخية استعملت مصطلح الوباء والطاعون دون أن تفرق بينهما، مما يصعب علينا معرفة نوع المرض الوبائي لأي فترة زمنية يحدث فيها (السعداوي، 1993، صفحة 37)، في حين كان مفهوم الوباء في الاصطلاح العلمي أوسع وأعم من مرض الطاعون، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا،

أي أن الوباء قد يشمل أمراضا عديدة من بينها الطاعون (ابن قيم الجوزية، 1986، صفحة 38) ، وإضافة إلى الطاعون تشتمل الأوبئة كذلك على أمراض عديدة متشابهة من حيث الهلاك، وتكون في الغالب معدية، غير أنها تختلف من حيث أعراضها فمنها الجذام والجذري والحصبة وذات الرئة والذئبة، فالجذام مرض لا يقل خطورة عن الطاعون بل يأتي بعده، ولهذا كان الأطباء يسمونه بالعلّة الكبرى. (ابن زهر، 1983، صفحة 378)

ثالثا: الأوبئة في كتابات المؤرخين ورجال الدين:

يعود الفضل الكبير في تحديد الأطر الكبرى لعلم الأوبئة للنظريات التي تركها العالم اليوناني إيبوقراط hippocrate الذي عاش في الفترة الممتدة ما بين 460-377 ق.م، والذي انطلق في بادئ الأمر في الحديث على تأثير الهواء، الماء والأتربة في إيجاد الأمراض وتطويرها ونقلها من شخص لآخر، وهو أول من استعمل مصطلحي endemi و epedemic للدلالة على الأمراض الناجمة عن انتقال العدوى من فئة بشرية إلى فئة أخرى خلال فترة زمنية محدّدة، ويكون تأثيرها على عدد كبير من الضحايا.

(Kenrad e Nelson & williams, 1976, p. 03)

وقد ترسخ عبر التاريخ وفي مختلف الحضارات الإنسانية القديمة، الإعتقاد بمفهوم العقاب السماوي بواسطة الوباء، إذ كان يعتبر عقابا للمجتمعات والأفراد على خطاياهم وذنوبهم، وهناك أمثلة عديدة من العالم القديم، اليوناني والبابلي، ثم المسيحي مثال ذلك الطبيب الفرنسي في الفترة الوسيطية الذي فسّر ظهور الطاعون الأسود لسنة 749هـ/1348م بأنه عقاب إلهي ضرب أهل جنوة بسبب معاملتهم السيئة للعرب

(Biraben, 2001, p. 08)

وهذا أيضا ما نجده في الموروث العربي الإسلامي التاريخي فإن الوباء ارتبط أساسا بما ترسّخ عند الفقهاء وعامة الناس بما جاء في الأحاديث النبوية التي تفيد بأن الطاعون عقاب أنزله الله على بني إسرائيل بسبب عصيانهم: (إنه وخز وبقيّة عذاب عذب به قوم قبلكم) (ابن حنبل، د.ت، صفحة 362)، وفي المقابل هو رحمة على المسلمين وعذاب على الكفار يعجل لهم قبل الآخرة (ابن حجر العسقلاني، 1991، الصفحات 181-182)، وهو التأويل الذي اتفق عليه لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون فأمسكتُ الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون

شهادة لأمتي ورحمة لهم، ورجس على الكافرين" (ابن حنبل، د.ت، صفحة 81)، فالمسلم الذي يموت في الطاعون شهيد، "الطاعون شهادة لكل مسلم" (البخاري، 2010، صفحة 435)، ويوضع في الدرجة نفسها من مات مجاهدا في سبيل الله، وهذا ما ذكره المؤرخ "رينو" في عدم إغفال المؤرخين والفقهاء المسلمين عن ذكر الطاعون في حالة وفاة شخصية بارزة به، لأن الوفاة بالطاعون ترفع هذه الشخصية إلى مرتبة الشهداء (Renauld, la peste de 1818 au maroc, 1923, p. 15)، ومن جهة أخرى نجد حادثة تراجع عمر بن الخطاب عن دخول بلد الشام سنة 18هـ/638م خلال حملته على البيزنطيين في مقدمة الروايات المرتبطة بالطاعون، فقد كان بالشام آنذاك الطاعون المسمى من قبل الإخباريين العرب بطاعون عمواس (هي قرية بفلسطين بين بيت المقدس والرملة، وكانت بداية ظهور الطاعون بها)، الذي أودى بحياة حوالي 25000 من المسلمين مما أخرج حملة الجيش الإسلامي على البيزنطيين (Biraben J.-N. , 1979, p. 30)، وهذا ما فسر على أن الطاعون رحمة للمسلمين وشهادة ولكن في المقابل لا يجب إلقاء النفس في التهلكة وحفظا لمقصد هام من مقاصد الشريعة الإسلامية وهي حفظ النفس، وهذا ما يظهر جليا في حادثة تراجع عمر بن الخطاب، وهذا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)، وفي رواية أخرى أن عبد الرحمان بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه) (البخاري، 2010، صفحة 435)

فالطاعون في التصور الديني الجماعي هو شهادة ورحمة للمسلمين وعقاب إلهي سلطه الله على الكفار، وهذا ما ذكره العربي المشرفي عندما عرف الوباء فيبدأ بالحديث النبوي: «الطاعون وخز أعدائكم من الجن»، ثم يسرد عددا من الأحاديث النبوية والأحكام الفقهية ليخلص إلى أن الطاعون أخص من الوباء. (المشرفي، 2014، صفحة 39)

إن الاعتقاد بالعدوى مسألة ظلت راسخة عند أغلب الأطباء المسلمين في فترة العصور الوسطى وما بعدها، وقد استمدوا أغلب معارفهم من الطب اليوناني القديم وطوروه وأضافوا إليه الكثير من الأشياء، (حداد، 2002، صفحة 120)، أمثال جالينوس الذي توفي في النصف الثاني من ق 2 ق.م، وأبقراط

الذي توفي حوالي 375 ق.م، والذي خلف كتابه المشهور (إبديميا) والتي تعني الأمراض الوبائية. (ابن زهر، 1983، صفحة 449)

ويرى "laumonier"، لومنيير أن منابع الطاعون في المناطق المغاربية خلال الحكم العثماني هي دلتا النيل ونهر الغانج في الهند (laumonier, 1897, p. 02)، وهذا ما وافقه فيه تولوزان "tholozan" الذي أكد أن الوباء الذي ضرب المناطق المغاربية والسواحل المتوسطية سنة 1796م مصدره صعيد مصر (joseph-désiré, 1988, p. 03)

ويرى شلدون واتس sheldon watts أن الأمراض الوبائية هي في الاصل أمراض معدية تصيب الأعداد الكبيرة من البشر، وبذلك فليست كل الأمراض المعدية وبائية، وأن علم الأوبئة يهتم بالأساس بدراسة الحالات الجماعية للعدوى، أي بالعدوى الجماعية وليست بالحالات الفردية للمرض، ولهذا فهو يهتم بمسألتين على وجه الخصوص :

أولاً: انتشار الأمراض في المكان وبين الجموع، مثل الجموع العمرية أو العرقية أو الإثنية، وكذلك الجموع التي تعتمد على الجنس (الذكور والإناث)

ثانياً: العوامل التي تؤدي إلى انتشار هذه الأمراض مثل العوائل الناقلة كالحشرات والفئران، وبذلك فعلم الأوبئة يهتم بكل الأسئلة حول المرض ما عدا تلك التي تتعلق مباشرة بأعراض هذه الأمراض وطرق الشفاء منها. (شلدون، 2010، صفحة 08)

وقد ربط بعض العلماء وخز الجن أو طعنه بأمور فلكية متمثلة في ظهور الثريا وسقوطها، والثريا هي النجم، فإذا سقطت الثريا وغابت تكثر الأمراض والطواعين، وإذا طلعت ترتفع كل الأمراض والعاهات عن كل قطر. (ابن قيم الجوزية، 1986، صفحة 39)، وذلك استناداً للحديث النبوي الذي يقول: «إذا ارتفع النجم رفعت العاهة عن كل بلد» (الطبراني، 1985، صفحة 104)

وقد شكلت مسألة العدوى جدلاً كبيراً بين الأطباء والفقهاء، وفي بعض الأحيان جدلاً كبيراً بين الفقهاء أنفسهم، بين من يرى بحقيقة العدوى ومن ينكرها، وقد أفردوا في هذا المجال مؤلفات خاصة ورد على بعضهم البعض وكانت حججهم في ذلك مستنبطة من الكتاب والسنة وكلام الفقهاء الأولين وفي بعض الأحيان من تجربة، حيث عايش الكثير من علماء الإسلام نوازل وأوبئة وطواعين.

ويعود أصل الخلاف إلى أن السنة النبوية وردت فيها عدّة أحاديث عن مسألة الطاعون والعدوى، ومعظمها أحاديث صحيحة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت الرسول صلى الله عليه وسلم عن الطّاعون فأخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه: (كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلّا ما كتب الله له إلّا كان له مثل أجر الشهيد)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المبطون شهيد والمطعون شهيد)، وهذان الحديثان أخذهما بعض الفقهاء على مطلقهما، أي أن الطاعون أمر مقدر ولا مفر منه إذا وقع بأرض، وأنه يصيب الإنسان دون عدوى ودون أن يكون لديه اتصال بشخص آخر، وفي المقابل توجد أحاديث نبوية صحيحة وقد أوردناها سابقا تشير في سياقها ومعناها إلى أن الطاعون ينتقل بالعدوى، كحديث عبد الرحمان بن عوف في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه)، وأيضا حديث إبراهيم بن سعد قال: سمعت أسامة بن زيد يحدث سعدا، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها) (البخاري، 2010، الصفحات 434-436)، و أيضا من قالوا بالعدوى استشهدوا أيضا بحادثة عمر عند خروجه للشام، وأخبره أصحابه أن الوباء قد وقع بها فرجع عن حاجته عملا بقول عبد الرحمان بن عوف الذي ذكرناه سابقا، وقال لأبو عبيدة بن الجراح الذي أنكر عليه رجوعه: نفر من قدر الله إلى قدر الله وكنتيجه لهذا الاختلاف فقد ظهرت عدّة مذاهب في هذا الباب لخصها ابن حجر العسقلاني في أربعة مذاهب فيقول: «...المحصل في المذاهب من العدوى أربعة: الأول أن المرض يعدي بطبعه صرفا وهذا قول الكفار، والثاني أن المرض يعدي بأمر خلقه الله تعالى فيه وأودعه فيه ينفك عنه أصلا إلّا أن يقع لصاحب معجزة أو كرامة فيختلف، وهذا مذهب إسلامي لكنه مرجوح، أما الثالث أن المرض يعدي ولكن ليس بطبعه، ولكن بعبادة أجراها الله تعالى فيه، كما أجرى العادة بإحراق النار، وقد يتخلف بإرادة الله عزوجل ولكن التخلف يكون نادرا، الرابع أن المرض لا يعدي بطبعه أصلا بل من اتفق له وقوع ذلك المرض فهو بخلق الله سبحانه وتعالى ابتداء...». (ابن حجر العسقلاني، 1991، صفحة 89)، وقد تبنى ابن حجر المذهب الرابع والأخير، أي أنه ينفي وقوع العدوى أصلا .

ولكن إذا تكلمنا عن رؤية الساكنة والحكام للوباء والعدوى في الفترة محل الدراسة نجد أن معظمهم لم يكن يهتم بالجانب الصحي، كما أن الحكام لم تكن لديهم سياسة واضحة اتجاه الأوبئة أو العدوى وهذا ما يتضح جليا في وباء 1718م الذي ضرب الجزائر حيث لم يتخذ الداوي وأعضاء ديوانه أي إجراء اتجاه هذا الوباء والذي كان بسبب سفينة قادمة من الإسكندرية رست بميناء الجزائر و تم تفريغ بضائعها رغم انتشار الطاعون بين المسافرين (marcheka, 1927, pp. 17-18)، وقد تقدم قائد السفينة إلى نائب القنصل الفرنسي ليخبره بوجود المرض على السفينة، فاتخذ نائب القنصل الحجر على السفينة، ثم طلب من الداوي إبراهيم اتخاذ إجراءات أمام العدوى التي كانت تهدد مدينة الجزائر فأجابته الداوي قائلا: «...إن خوفك من انتقال العدوى يفسر بكونك مسيحيا، وبهذه الصفة تضمن أن بإمكانك الإفلات والهروب من قدر وإرادة الله، اذهب أنا تركي ولا أخشى الطاعون، فماذا يستطيع أن يفعل الطاعون؟ نحن أسوأ وأخطر منه، ولو حاول اجتياح هذه المدينة فلدينا مدافع لمواجهة...» (موساوي القشاعي، 2003-2004، صفحة 237).

وهذا دليل على عدم الاهتمام بالحالة الصحية للسكان، وأيضا عدم اعتقادهم بالعدوى فيما يخص الطاعون بل اعتبروه قضاء وقدر، أو عقاب من الله عز وجل كما ذكرنا سابقا. ولهذا كان الموقف الشائع والغالب عند الحكام اتجاه الأمراض والأوبئة في الهروب منه أو الاستسلام للقضاء والقدر، واعتبار الأمراض والأوبئة أمرا حتميا لإرادة الله تعالى من عقاب أو ابتلاء، وكان الاعتقاد المشترك بين الحكام والسكان هو أن تسليط الأوبئة ما هو إلا تعبير لغضب الله تعالى على عباده لارتكابهم المعاصي (foucqueron, 1833, p. 102)، ولهذا كان للحكام دور في انتشار السحر والشعوذة حيث فسروا حدوث الأمراض والأوبئة بقوة غيبية أو عين شريرة أو الأرواح والجنون، وهذا ما ساهم في تفشي العلاج الشعبي نظرا لعدم وجود مؤسسات صحية تتكفل بالمرضى (موساوي القشاعي، 2003-2004، صفحة 239).

وقد أخذ مؤلفوا القرن التاسع عشر في محاولتهم إعطاء تعريفات طبية للوباء والطاعون من الموروث الطبي الإسلامي الذي خلفه أمثال ابن سينا والأنطاكي والرازي وابن رشد، فإن هذه التعريفات قد لعبت دورا فعالا بالنسبة للدارسين والباحثين في هذا الميدان، فبناء على هذه التعريفات وعلى الأعراض التي وردت

سواء في الكتابات التاريخية أو النصوص الفقهية أمكن رفع نسب هامة من اللبس وتحديد طبيعة عدد من الأمراض والأوبئة.

ومن خلال هذه التصورات والمفاهيم التي ذكرناها فالطاعون لا يخضع لقياس الأمراض الأخرى، وإنما يدخل ضمن الأوبئة وهذا كما ذكرنا سابقا لاشتراكهما في مرض عامة الناس وكثرة الموت بسببه، وهذا ما يفسر عجز الأطباء عن فهمه، واستبعاد أي دور للطب في مواجهة الطاعون، وهذا التصور طغى على معظم ما تداوله المؤرخون والفقهاء في القرن 19م، وقد استمدوه مما خلفه ابن حجر العسقلاني والذي خصص كتابا لموضوع الطاعون، ويعدّ مصدرا مجملا لمعظم الأحكام الفقهية حول القضايا المتعلقة بالبواب والطاعون منذ صدر الإسلام، وما ذكره ابن حجر حول ذلك قوله: «...فالأطباء إذا لم يتعرضوا لكونه من طعن الجن معذرة، لأن ذلك أمر لا يدرك بالعقل ولا بالتجربة، وإنما يتلقى من خبر الشارع...». (ابن حجر العسقلاني، 1991، صفحة 104)، وقد نتج عن هذه المرجعية ومع ما تراكم من كتابات حول الأوبئة والطاعون ما عرف فيما بعد بالطب النبوي، والذي نتج عنه تعاريف واصطلاحات جديدة في مؤلفات المؤرخين وخاصة المسلمين منهم

ومن خلال هذا فلا أحد ينكر وحتى الغرب أنفسهم فضل التراث الإسلامي في التاريخ للأمراض المختلفة وطرق الشفاء منها خصوصا ما تركه ابن سينا والرازي، (سعيد، 2018-2019، صفحة 36)، وأول من كتب في شأن الأوبئة والطواعين ابن أبي الدنيا في كتابه الطواعين، وأفردوا لذلك كتباً خاصة، خصوصا المؤلف الهام الذي اختص بالطاعون لابن حجر العسقلاني والذي جاء بعنوان: «بذل الماعون في فضل الطاعون»، من خمسة أبواب، خصوصا بعد طاعون عمواس أخذ الناس يجمعون الأحاديث المتعلقة به، وقد عدّد منها أكثر من ثلاثين مصنفًا في الطاعون. (ابن حجر العسقلاني، 1991، صفحة 40)، وكتاب: «المغني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والاعراض» لصاحبه هبة الله البغدادي، والذي حققه ونشره الدكتور "محمد ياسر زكور" (البغدادي، 2011)

ولا يفوتنا ذكر مؤلف هام أيضا وهو كتاب: «الطاعون وأحكامه»، لمحمد بن محمد المنبجي والذي اعتمد فيه على الأحاديث النبوية بشكل كبير وما تكلم به فقهاء الإسلام في باب الطواعين. (المنبجي، 2017، صفحة 37)

وسيمر ذكر مؤلفات أخرى خاصة بمؤرخين وفقهاء جزائريين عاصروا الأوبئة في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

رابعا: الأوبئة في الجزائر العثمانية

وقد ارتأينا هنا أن نذكر جانبا من الأوبئة التي ضربت الجزائر خلال الوجود العثماني، وهذا لسببين مهمين هما:

أولا: هو تسليط الضوء على الأوبئة التي ضربت الجزائر في فترة زمنية مهمة من تاريخها
ثانيا: أن الجزائر لم تكن حسب المؤرخين بيئة وبائية وإنما ثم تصديرها إليها من بيئات أخرى خصوصا من الشرق الأوسط وعن طريق الحجاج والتجار
وحاولنا التعرف على مجال اهتمام الجزائريين بالطب خلال هذه الفترة وهل اهتم المؤرخون والفقهاء بالكتابة عن هذه الظاهرة الوبائية أم أنهم أهملوها كليا.

1- طرق انتقال الوباء إلى الجزائر:

لقد أجمع المختصون والمؤرخون في دراسة الأمراض والأوبئة بالجزائر أن الطاعون لم يكن وليد البيئة الجزائرية بل غريب عنها، وإنما نقلت إليها العدوى من منطقة الشرق الأوسط (marcheka, 1927, p. 183)، وقد كان لحركة السكان المستمرة وتنقلاتهم داخليا وخارجيا الدور الكبير في ظهوره هذا الوباء بالجزائر وذلك عن طريق الطلبة والحجاج والتجار القادمين من منطقة الشرق في مواسم حدوث الوباء فالحجاج والقوافل التجارية استعملوا الطريق الساحلي وهو طريق بيروت ثم تركيا فالقاهرة ثم الاسكندرية وبرقة وطرابلس وقابس والقيروان وتونس وباجه وقسنطينة ثم ميله، فيصلون إلى مدينة الجزائر، ثم يواصلون نحو مليانة وتلمسان، أما المسار الثاني فهو الطريق الصحراوي الذي يتبعون فيه الطريق الأول إلى غاية القيروان، ومنها إلى بسكرة ثم ورقلة والأغواط وصولا إلى تيفلالت. (Raynauld, 1902, p. 02) ويمكن القول أن هذه الطرق استعملت خلال فترة الحكم العثماني بالجزائر أما خلال الاستعمار الفرنسي فقد قل استعمال هذا الطريق البري بسبب الاجراءات الإدارية الفرنسية، وكان الاعتماد أكثر على الطريق البحري.

2- نظرة عن الأوبئة في الجزائر ما بين 1518-1830:

عرفت الجزائر منذ الوجود العثماني بالجزائر إلى الاحتلال الفرنسي أي خلال الفترة الزمنية الممتدة ما بين 1518 إلى 1830 العديد من الأوبئة وعلى فترات متقاربة أحيانا، ومتباعدة أحيانا أخرى، ويعود أول ظهور لوباء الطاعون في الجزائر إلى سنة ((Ber brugger, 1847, p. 102))، وفي القرن السادس عشر أودى الطاعون بحياة ثلثي سكان مدينة الجزائر، وذهب ضحيته أربع باشاوات من بينهم صالح رايس، أما في القرن السابع عشر فنجد أنه قد اكتسح مدينة بسكرة وذلك في سنة 1650، وبلغ عدد الوفيات سبعين ألفا. (Raunaud, 1922, p. 53)

وقد عرفت مقاطعة الجزائر انتشارا للطاعون سنوات 1799-1800-1801-1802-1803-1804، (سعيدوني، 2001، الصفحات 95-118)، أي أنه ضرب إقليم الجزائر مدة ست سنوات متتالية، وكان يتكرر كل عشر أو خمسة عشر سنة وفي بعض الأحيان كان يستمر لبضع سنوات كما حدث سنة 1784-1798م، باستثناء القرن السابع عشر 17م الذي عرف مدّة زمنية طويلة خالية من الأوبئة قدرت ب 61 سنة بغض النظر عن الطاعون الذي ضرب بسكرة في منتصف القرن السابع عشر، والملاحظ في كثير من الأحيان أن الأوبئة كانت تحدث مباشرة بعد حدوث الكوارث الطبيعية من جفاف ومجاعات كما حصل سنة 1740م. (سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، 1988، صفحة 116).

ولعل أخطر وباء حلّ بالجزائر هو الذي كان بين سنتي 1817-1818م أين أودى بحياة أكثر من 13 ألف شخص من بينهم 2048 ضحية في مدينة الجزائر لوحدها، ولمدة شهر فقط بمعدل 150 وفاة في اليوم (Tremsali, 1928, p. 05) ثم وباء سنة 1822م والذي بلغ فيه عدد الضحايا 2272 (Raunaud, 1922, p. 65)

ومما يلاحظ أن معظم الأوبئة كانت تنتشر من مدينة الجزائر أو دار السلطان حيث تركزت بها حوالي 75% من الأوبئة، وقد ذكر الزياتي ما رآه أثناء زيارته إلى الجزائر قائلا: «...وكان عامًا في العمائر (أي الطاعون)، التي بينها (يقصد تلمسان) بين الجزائر، فما نزلت منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم.....» (بلحميسي، 1979، الصفحات 39-40)، ويجمع المؤرخون أن الأوضاع الصحية في الجزائر عرفت

تدهورا كبيرا ابتداء من النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر، وهذا بسبب التدهور الاقتصادي والاجتماعي وإقفار الأرياف والمدن، إضافة إلى الكوارث الطبيعية كالجفاف والمجاعات .

أما الفترة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر أي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي فقد عرفت الجزائر خلالهما سلسلة من الأوبئة، كوباء 1793م، وهو طاعون أصاب مدينة الجزائر سنة من قبل أي في 1792م، حيث نقل إليها من بحارة قدموا من القسطنطينية، (marcheka, 1927, p. 141)، وقد تزايد هذا الوباء وبلغ ذروته في سنة 1794م، وهذا ما ذكر في رسالة موجهة إلى القنصل الفرنسي "فاليار valliére " يقول فيها صاحبها: «...إن الطاعون ما زال يقتل ما بين خمسون ومائة وخمسون شخص يوميا في قسنطينة، ولا نعرف مدى الخسائر التي يحدثها في النواحي الأخرى من المقاطعة...» وقد ذكرت هذه الرسالة في محفوظات الوكالة الإفريقية. (بوحجرة، 2014-2015، صفحة 56)

وإذا اضطلعنا على خريطة توزيع الأوبئة فإن بايلك الغرب احتل المرتبة الأخيرة بنسبة لا تتعدى 15%، حيث أنه بعد زلزال وهران سنة 1790م، والذي نتج عنه هزات متكررة إلى غاية بداية جانفي 1791م، تعرضت هذه المدينة إلى وباء الطاعون وكان من نتائجه أن اضطر الباي محمد الكبير إلى مغادرة مدينة وهران والإقامة بسهل ملالة قرابة الثلاثة أشهر إلى أن زال المرض، (الزياني، 2012، صفحة 205)، وفي هذا يذكر مسلم الوهراني: «...وحدث في أيامه الطاعون، ومات به الجمل من الناس والعلماء، وخرج الباي بأهله ومخزنه فارا منه، وضعنوا ضعون الأعراب البادية زمنا طويلا...». (الوهراني، 1979، صفحة 64) ثم تعرضت وهران لطاعون آخر سنة 1794م وسمي (بجوحة عثمان)، كما أدخل الحجاج الطاعون إلى مدينة وهران سنة 1799م، ونقلوا العدوى إلى مدن أخرى كتلمسان، معسكر وتادامت، (marcheka, 1927, p. 150) وقد عرفت الفترة الممتدة ما بين 1796م إلى غاية 1804م العديد من الأوبئة الطاعونية في بايلك الغرب، ومن أهم المدن التي عرفت أوبئة: وهران، تلمسان. (موساوي القشاعي، 2003-2004، صفحة 253)

وقد تميزت إيالة الجزائر ما بين سنتي 1805-1816م بخلوها من الطاعون، (موساوي القشاعي، 2003-2004، صفحة 133)، ثم عاد للظهور أواخر سنة 1816 وزاد حدته المجاعة التي حدثت

قبله سنة 1815م، ووصل الوباء إلى وهران في منتصف سنة 1817م، واستمر مدة طويلة قاربت الخمس سنوات أي حتى سنة 1822م. (أبو العيد دودو، 1975، صفحة 72). وقد اعتبرت هذه الفترة الزمنية ما بين 1817 إلى غاية 1822م أكبر كارثة وبائية عرفت الجزائر حيث عمّ الوباء كامل أرجاء الإيالة حتى وصل إلى مشارف الصحراء مخلفا وراءه عددا كبيرا من الوفيات، حيث بلغ عدد الموتى خلال هذه الخمس سنوات حوالي 18 ألف شخص (marcheka, 1927, pp. 173-178)

وقبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر أي ما بين 1823 إلى 1830م عرفت إيالة الجزائر وضعاً صحياً مستقرًا، وهذا ما تؤكدُه العديد من المراسلات الدبلوماسية، حيث أشار شبه القنصل الفرنسي بوهران إلى عدم وجود الطاعون أو أي مرض معدٍ آخر. (المدني، 1986، الصفحات 144-151)

إن الأوبئة في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني لم تقتصر حقيقة على منطقة ما دون مناطق أخرى، إلا أنها تركزت في العديد من المناطق المحورية، وتأثيرها اختلف اختلافا كبيرا بين الجنوب وباقي حواضر المدن الكبرى، كما أن المناطق الأكثر عرضة للوباء كان حيزها الجغرافي موجود في المناطق الشمالية، وذلك بسبب ارتفاع الكثافة السكانية، والعوامل الداخلية: كالمناخ، والحركة التجارية، والعوامل الخارجية: كالاتكاك في الموانئ، وهذا ما جعل هنالك اختلافا بين الباحثين حول ما إذا كانت إيالة الجزائر موطنا دائما للأوبئة، أو مجرد مستورد لها، وهل كانت البيئة الجزائرية بيئة غير وبائية فعلا؟ (سعيد، 2018-2019، الصفحات 63-64)

3- الاهتمام الطبي عند الجزائريين:

إن ما زاد من انتشار الأوبئة وتفشيها هو إهمال الجزائريين للطب، فالألماني (جون ريهنير) الذي أقام بالجزائر تأسف على إهمال الطب وانعدام الكتب في هذه الفترة، أما الطبيب الإنجليزي (شاو) ذكر هو الآخر بأن الكيمياء التي كانت العلم المفضل لدى الشعوب العربية أصبحت تتمثل فقط في تقطير الورد، وإن جلّ الأطباء كانوا قد نسوا تراثهم العربي القديم. (غطاس، 1983، صفحة 122)، كما ذكر بربروجر: «أن الكتاب الوحيد المستعمل في الطب آنذاك هو تذكرة داوود الأنطاكي، وكشف الرموز لعبد

الرزاق الجزائري المعروف بابن حمادوش الذي كان يستعمل في المعارف الصيدلية (Ber brugger, 1847, pp. 245-246)

وأشار هايدو (Haédo) (1578-1581) إلى غياب مهنة الطب تماما، فلا يوجد في الجزائر بأكملها من له خبرة في تضميد الجراح وإيقاف النزيف، وأن جميع من يقوم بالعلاج والذين سماهم (الجراحين) كانوا مسيحيين، أما بالنسبة للجزائريين نجد اثنان فقط، أحدهم مرتد عن المسيحية أصله من جنوة يدعى (شعبان)، وآخر أندلسي أصله من بلنسية، وكلاهما يجعلان مهنة الطب، كما أنه لا يوجد بالجزائر مستشفيات إطلاقا على غرار ما هو موجود بتركيا ومصر. (Haédo, 2007، الصفحات 176-193)

وهذا ما أكدته معظم الرحالة والقناصل الأوروبيين الذين جاؤوا فيما بعد، حيث تبنا رأي هايدو، وحتى علماء الطبيعة والأطباء خلال القرنين 17 و18م بداية القرن 19م، فجميعهم أقر أنه لم يكن بالجزائر أطباء، ولا توجد مدرسة واحدة لتعليم الطب، ولا مستشفى، وبالمقابل نجدهم يتكلمون على طرق العلاج التقليدية أو الشعبية التي ارتبطت أساسا بالطب النبوي، أو العلاج الديني، حيث ذكر الدكتور توماس شاو (D.Shaw) 1720-1732 «... أنه لم يكن هنالك أطباء أكفاء بل هم مجرد عطارين يداوون بالأعشاب...» (Shaw, 1830, pp. 80-82)

غير أن هذا الكلام ربما يعبر عن المنطقة التي تواجد بها المتحدث ولا يعبر على كامل الإيالة الجزائرية، وحتى الرحالة الأوروبيون والمصادر الأوروبية التي تكلمت في هذا الموضوع أخذت كلام هايدو على مطلقه وتبنوه بشكل كبير، خصوصا إذا علمنا أن هؤلاء الرحالة مروا بمناطق معينة دون أخرى ولم تكن لهم دراية بما يحصل في المناطق الأخرى من الجزائر.

غير أن الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله تعالى كانت له نظرة أخرى، حيث يؤكد أن اهتمام الجزائريين بالطب خلال العهد العثماني كان أفضل وأكبر من اهتمامهم بالعلوم الأخرى، (أبو القاسم سعد الله، 1998، صفحة 416)، غير أنه اشتهر الطب الشعبي في تلك الفترة، والذي يعتمد أساسا على الطب النبوي، أي أن العلاج كان ضمن إطار ديني وفق نظرة عقائدية، وهذا ما يفسر أن العلماء في هذه الفترة جمعوا بين العلوم الشرعية والعلوم الطبية، وجعلوا من معرفة الطب نصف العلم، كما أن العلماء الذين ألفوا

في الطب لم يمتحنوا كلهم مهنة الطب، ونشاطهم اقتصر على التأليف فقط. (غطاس، 1983، صفحة 123))

بينما يذكر مصطفى خياطي أن الطب والأطباء في الجزائر أواخر العهد العثماني انقسم إلى ثلاثة أقسام: الطب الشعبي أو التقليدي الذي مارسه الرقاة والفقهاء وعامة الناس واختص به الجزائريون فقط، والطب الأوروبي ويمثله المسيحيون، والعثماني مارسه الجنود الاتراك (خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، 2013، صفحة 83).

كما أن الوباء كان يثير الخوف والرعب عند الحكام وهذا ما كان يدفعهم للهرب كما حدث مع الداوي علي خوجة الذي غادر قصره واستقر بالقصبة وطرد الطبيب الإسباني "أسانتي" في 02 ديسمبر 1817م، وغادرت الطبيب الفرنسي "توسال" Tousel الإيالة الجزائرية. (marcheka, 1927, p. 159)، فيما نجد أن الكثير من الحكام لجؤوا إلى الأطباء الأجانب لرعاية صحتهم فالباشا بابا علي كان يتكفل به طبيب أسير سنة 1754م، وصالح باي تكفل برعايته طبيب إيطالي اسمه باسكال قميزو « pascal gamisot »، أما الباي كليان بوكمية تكفل برعايته طبيب هولندي اسمه سانسون « sanson » سنة 1713م، كما تكفل الطبيب الألماني والذي كان أسيرا بفافير « pefeiffer » بصحة خزانجي الداوي حسين سنة 1829م (خياطي، 2013، صفحة 102)

وفي مجال التدوين حول الوباء نجد أن بعض العلماء والفقهاء الجزائريون أفردوا مؤلفات خاصة به، ومن أبرز ما ألف في هذا الباب كتاب «المن والسلوى في حديث لا عدوى» لمحمد بن أحمد الشريف الجزائري. (خوجة، 1968، صفحة 21)

وأيضاً كتاب « فتح الجليل في أدوية العليل » لابن مريم، و« أعلام أهل القرية في الأدوية الصحيحة» لأحمد بن قاسم البوني، و « مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب» للبوني أيضاً، وكتاب « المنافع المبينة وما يصلح بالأربع أزمنة» لمحمد بن علي الصنهاجي، أما عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري فقد ترك لنا « الجوهر المكنون من بحر القانون»، وينقسم إلى أربعة كتب، (غطاس، 1983، صفحة 126)، وكذلك كتاب « الدّر المصون في تدبير الوباء والطاعون» لأبي راس الناصري العسكري، وأيضاً

كتاب آخر مهم أفردده صاحبه للكلام عن الأوبئة وخاصة الطاعون وهو كتاب « إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء» لحمدان بن عثمان خوجة. (أبو القاسم سعد الله، 1998، صفحة 437) وكذلك رسالة محمد ابن العربي في الطب والمداواة التي قدمت إلى المدرسة الطبية بباريس من أجل الحصول على درجة حكيم تحت عنوان: «La médecine arabe en Algerie» ، وتمت ترجمتها إلى اللغة العربية 1891-1892 (ben larby seguir, 1884) ، والجدير بالذكر أن هؤلاء العلماء ركزوا في مؤلفاتهم على وباء الطاعون بدرجة كبيرة، وهذا نظرا لانتشاره في تلك الفترة ولا ارتباطه بالمعتقد الديني لديهم، كما ذكر الدكتور (شاو) عندما تطرق لوصفة للطبيب محمد زروق للوقاية والمعالجة من الطاعون (Shaw, 1830, p. 87)

أما الكتابات الغربية فيمكن جمعها في مذكرات خاصة وضعها أطباء في أمراض وبائية مثل غراندميسون (grand misson) و (Emmanuel Gabriel) حول وباء الجدري (la variole) ، والذي تكلم بشكل مطول عن الوباء وتاريخه وأعراضه (Grandmaison & Emmnuel, 1894, p. 145).

كما لا يجب أن ننسى الدكتور بيرتران (Bertherand) الذي كان يشرف على المجلة الطبية الجزائرية، (Berthrand, 1893)، وكتابه «الطب والنظافة عند العرب»، médecine et hygiène des arabes والتي صدرت في منتصف القرن التاسع عشر ميلادي (Berthrand, 1855) (Berthrand E, 1855).

أما في الفترة المتأخرة من الحكم العثماني للجزائر نجد مذكرة بروجر (Ber bruger) ، «mémoire sur la peste en algérie»، والتي جاءت ضمن كتاب «Exploration scientifique de l'algérie»، أي الاستكشاف العلمي للجزائر، وخلالها تتبع بروجر الأوبئة في الجزائر بشكل دقيق بداية من سنة 1552م. (سعيد، 2018-2019، الصفحات 46-47)

ثم يأتي كتاب غيون (Guyon) تاريخ الأوبئة في شمال إفريقيا «Histoire chronologie des épidémies du nord l'afrique»، وقد غطى هذا الكتاب الفترة الممتدة من قبل الميلاد إلى غاية الربع الاول من القرن التاسع عشر وبالضبط سنة 1822م، (سعيد، 2018-2019، صفحة

50) ، وقد اعتمد فيه كاتبه بشكل كبير على ما ذكر (بيربروجر)، وركز بشكل كبير على انعكاسات الأوبئة على السلطة والمجتمع، وتغافل عن الحديث على الانعكاسات النفسية والعقائدية والدينية . كما توجد أطروحة دكتوراه في الطب ل جون مارشيك (Marcheka) سنة 1901 من جامعة الجزائر تحت عنوان «La peste en afrique septentrionale» : وخصّص جزءا منها للكلام عن الأوبئة في الجزائر تحت عنوان Histoire de la peste en algerie de 1363-1830 وقد ذكر مارشيك أن الهدف من دراسته هو تأريخ التسلسل الزمني لظهور الأوبئة في منطقة المغرب من المحيط إلى غاية قناة السويس. (Marcheka, 1957)

خاتمة:

لقد عرفت البشرية في مختلف الازمنة ظهور أوبئة وأمراض حصدت أرواح الملايين من الاشخاص، منها من كان في نطاق ضيق ومنها ما شمل مساحة جغرافية معينة وحصد عدد كبير من الضحايا في فترة زمنية محدّدة والذي اصطلح على تسميته وباء بغض النظر على نوعه و، ولهذا ظهرت جدلية الفرق بين الوباء والطاعون عبر التاريخ في كتابات المؤرخين ومدونات الفقهاء والأطباء، وفي المصادر الأوروبية، وأخذ ذلك حيزا كبيرا عند علماء المسلمين وذلك لارتباط الطاعون بما ذكر من أحاديث نبوية شريفة جعلت الميث بالطاعون في مرتبة الشهداء، ومن هنا ارتبطت التعاريف الفقهية بما ذكر في الآثار الدينية والسنة النبوية، وكانت نظرهم عقائدية إذ أن الوباء لا ينتقل بالعدوى، وإنما هو تصريح من الله عز وجل لمن يشاء من عباده، غير أن علماء وفقهاء الفترة الحديثة كانت لهم نظرة أخرى، وأعطوا تعريفات أعمق وأشمل للوباء والطاعون وخلصوا في النهاية إلا أن الوباء أعمُّ من الطاعون، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعون، أي أنه يختلف حسب البيئة التي يعيش فيها الشخص، وطريقة انتقاله عن طريق الهواء أو اللمس، أو رذاذ الشخص ، وصنفوا الأوبئة حسب الأعراض التي يعاني منها الشخص المصاب، ومدة الإصابة، وكيفية انتقال الوباء إليه، وهذا ما تجلّى في العصر الحديث أو ما عرف بعلم الأوبئة والذي يركز في دراسته على شقين مهمين وهما انتشار الأوبئة والأمراض والعوامل التي ساعدت في ذلك، وكان لا بد من إلقاء نظرة حول الأوبئة التي ضربت الجزائر خلال الحكم العثماني لتبيان الصورة حول طبيعتها وكيفية انتقالها وأثرها على الساكنة، وتبسيط الضوء على اهتمام الجزائريين بهذا الموضوع فقد اختلف حول اهتمامهم

بالطب، فنجد المصادر الأوربية نفت اي اهتمام لهم بالطب والعلاج، بينما يرى من آرخ لتلك الفترة من المؤرخين والفقهاء الجزائريين، ومن جاء بعدهم في الفترة المعاصرة خصوصا الدكتور أبو القاسم سعد الله، أن الجزائريين اهتموا بمجال الطب أكثر من اهتمامهم بالعلوم الأخرى، وما يزي هذا القول هي التصنيفات التي وصلت إلينا لجزائريين اهتموا بموضوع الطاعون على الخصوص وأفردوا له مؤلفات كحمدان خوجة، وأبي راس الناصري، وابن حمادوش الجزائري، والصنهاجي وغيرهم، وأخيرا لا يمكن نكران ولو بشكل من الأشكال للدور الذي لعبه الموروث الإسلامي والمدونات الفقهية في التأريخ للأمراض والأوبئة، وطرق العلاج منها، حتى وإن ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمفهوم الديني العقائدي، إلا أنها أخذت حيزا كبيرا في كتاباتهم ومؤلفاتهم، وبحوثهم، وكانت نظرتهم للأوبئة نظرة علمية، دينية إضافة إلى ربطها بالعقيدة الإسلامية من خلال الكلام حول الفرار من الوباء، أو البقاء في الأرض التي ينزل بها، وكانت رؤيتهم أكثر شمولية ووضوحا مما ذكر في المصادر الأوربية القديمة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن الأثير. (1979). *النهاية في غريب الحديث والأثر* (المجلد 3). (أحمد الطاهر الزاوي، المحرر) بيروت، لبنان: المكتبة العلمية.
- 2- ابن حنبل. (د.ت). *المسند*. القاهرة، مصر: مؤسسة قرطبة.
- 3- ابن خاتمة. (بلا تاريخ).
- 4- ابن خاتمة. (1988). *تحصيل غرض المقاصد في تفصيل المرض الوافد*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- 5- أبو العباس أحمد الناصري. (1956). *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*. الدار البيضاء، المغرب: دار الكتاب.
- 6- أبو العيد دودو. (1975). *الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 7- أبو القاسم سعد الله. (1998). *تاريخ الجزائر الثقافي* (المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- 8- أبو مروان بن أبي العلاء ابن زهر. (1983). *التيسير في المداواة والتدبير*. (ميشال الخوري، و محي الدين صابر ، المحررون) دمشق، سوريا: دار الفكر.
- 9- أبي الحسن البغدادي. (2011). *المغني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والأعراض* (الإصدار 1). (محمد زكور ، المحرر) جدة، السعودية: دار المناهج.
- 10- أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. (2010). *صحيح البخاري* (المجلد 4). الجزائر: دار الإمام مالك.

- 11- أحمد ابن حجر العسقلاني. (2005). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. (أبو قتيبة محمد الفيبرياني، المحرر) الرياض، السعودية: دار طيبة.
- 12- أحمد ابن علي ابن حجر العسقلاني. (1991). بديل الماعون في فضل الطاعون (الإصدار 1). (عبد القادر أحمد عصام، المحرر) الرياض: دار العاصمة.
- 13- أحمد السعداوي. (1993). المجامع والأوبئة في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط ضمن الديمغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي. تونس، كلية الآداب بمنوبة: دار سراس للنشر والتوزيع.
- 14- أحمد توفيق المدني. (1986). مذكرات الحاج أحمد الزهار. الجزائر: دار المعرفة للنشر والتوزيع.
- 15- إسماعيل بن حماد الجوهري. (1990). الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- 16- الإفريقي ابن منظور. (1968). لسان العرب (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار صادر.
- 17- الحسين ابن عبد الله ابن سينا. (1999). القانون في الطب (الإصدار 8). بيروت، لبنان: توبليس.
- 18- الطبراني. (1985). المعجم الصغير المسمى الروض الداني (الإصدار 1). (محمود شكور، المحرر) بيروت، لبنان: دار عماد، المكتب الإسلامي.
- 19- العربي المشتري. (2014). أقوال المطاعين في الطعن والطواعين (الإصدار حسن الفرقان، المجلد 1). الرباط، المغرب: منشورات التوحيد.
- 20- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية. (1992). كتاب الأغذية. (غارسيا أكيبراتيون، المحرر) مدريد، إسبانيا: معهد التعاون مع العالم العربي.
- 21- الموسوعة العربية الإسلامية. (1999). الرياض، السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة.
- 22- برنار روزنبرجي، و حميد التريكي. (2013). المجامع والأوبئة في مغرب القرنين 16م و 17م (الإصدار 2). (عبد الرحيم حزل، المترجمون) الرباط، المغرب: دار الأمان.
- 23- حمدان خوجة. (1968). تحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء. (محمد بن عبد الكريم، المحرر) الجزائر: المطبوعات الوطنية للنشر والتوزيع.
- 24- خير الدين سعيدي. (2018-2019). المجامع والأوبئة خلال العهد العثماني 1700-1830. الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-قسم التاريخ، الجزائر: جامعة 08 ماي 1945 قلعة.
- 25- شمس الدين أبي عبد الله ابن قيم الجوزية. (1986). الطب النبوي (الإصدار 13). (شعيب الأرنؤوط، و عبد القادر الأرنؤوط، المحررون) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية.

- 26- شمس الدين المنبجي. (2017). الطاعون وأحكامه (الإصدار 1). (أحمد بن محمد آل ثاني، المحرر) بيروت، لبنان: دار ابن حزم.
- 27- عائشة غطاس. (أوت، 1983). الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني. صفحة 122.
- 28- عبد الرحمان ابن خلدون. (1997). مقنعة السائل عن المرض الهائل. فرانكفورت، ألمانيا: منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية.
- 29- عبد الرحمان ابن خلدون. (2006). المقدمة. (محمد الاسكندراني، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- 30- عبد الكريم الخطابي. (1988). الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- 31- عثمان بوحجرة. (2014-2015). الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830 مقارنة اجتماعية. رسالة ماجستير. الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.
- 32- فلة موساوي القشاعي. (2003-2004). الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871. الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، الجزائر: جامعة الجزائر.
- 33- محمد الدين أبي السعادات. (2000). النهاية في غريب الحديث والأثر (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار ابن الجوزي.
- 34- محمد بن يوسف الزباني. (2012). دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. (المهدي البوعبدلي، المحرر) الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- 35- محمد حداد. (2002). تمجيد الموت، صورة الوباء في القرن 19م (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الطليعة.
- 36- مسلم بن عبد القادر الوهراني. (1979). خاتمة أنيس الغريب والمسافر. (رابح بونار، المحرر) الجزائر: دار الكتاب للنشر والتوزيع.
- 37- مصطفى خياطي. (2013). الطب والأطباء في الجزائر العثمانية. الجزائر: منشورات ANEP.
- 38- مولاي بلحميسي. (1979). الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- 39- ناصر الدين سعيدوني. (1988). دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة (المجلد 2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- 40- ناصر الدين سعيدوني. (2001). دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية في الفترة الحديثة (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- 41- واتس شلدون. (2010). الاوبئة والتاريخ المرض والقوة الإمبريالية (الإصدار 1). (أحمد محمود عبد الجواد، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

Bibliographie :

- 42-ben larby seguir, M. (1884, juillet 16). la médecine arab en Algerie. *these pour le doctorat*. paris, faculte de médecine, france: university de paris.
- 43-Ber brugger, A. (1847). mémoire sur la peste en Algerie depuis 1552 j'usqua 1819. inscrit à la bibliothèque national d'Alger N°3305, Alger.
- 44-Berthrand, E. (1855). *médecine et Hygiène des arabes; études sur l'exercise de la médecine et de la chirugie chez les musulmans de l'Algerie*. paris.
- 45-Biraben, J.-B. (2001). *les hommes et la peste en france et dans les pays européens et méditeterranéens* (Vol. 1). paris, france: lahave.
- 46-Biraben, J.-N. (1979). *la peste noir en terre de l'islam dans les hommes et la peste en france et dans les pays européens et méditerranneéens* (Vol. 1). paris.
- 47-chabrand, J.-A. (1886). *les grandes épidémies dans le brianconais*. Grenoble, france: Grenoble maison.
- 48-Crouzet, S. (1822). *Dissertation sur la peste*. (D. Camoin, Éd.) Marseilles, paris.
- 49- D Haédo.(2007). *Topographie et Histoire générale d'Alger, la vie à Alger auseizième siècle* .A Rehabi (المترجمون) ,Alger: Grand Alger livres.
- 50-Dictionnaire des sciences historiques. (s.d.). (S.D, Éd.)
- 51-foucqueron, J. (1833). *essai topographie et médicale sur la régence d'Alger*. paris: just rouvier.
- 52-Grandmaisson, & Emmnuel, G. (1894). *La variole*. (Rueff, Éd.) Paris.
- 53-Jackson, J. (1909). *An account of the empire of the morocco and the district of suse*. london.
- 54-joseph-désiré, t. (1988). *du déveoppement de la peste dans les pays montagneux et sur les hauts plateaux de l'europe et de l'afrique et de l'Asie*. paris: gautier villars.
- 55-Kenrad e Nelson, & williams, c. (1976). *Early history of infectionus discas*. England.
- 56-laumonier, j. (1897). *la peste histoire et traitement*. (H. gautier, Éd.) paris: librairie l'advocat.
- 57-Lepourier, M. (1992). *la petie encyclopédie médecines sciences flammarion*. paris, france: flammarion.
- 58-marcheka, j. (1927). *La peste en afrique septentoriale, Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830*. paris: carbonel.
- 59-Marcheka, J. (1957, mai 20). la peste en Afrique septentrionel; histoire de la peste en Algérie de 1363-1830. *these doctorat*. Alger, faculte mixte de médico et de pharmacie d'Alger: non publier.

- 60-porta, m. (2001). *A dictionary of epidemiology* (éd. 6). (M. Hernan, dos santos, & J. silva, Éd.s.) oxford, departement of the university of oxford, England: oxford university.
- 61-Raunaud, L. (1922). *Hygiene et pethologie nord Africaines* (Vol. 1). paris, paris.
- 62-Raynauld, L. (1902). *Marche origine des grandes épidémies au nord d'Afrique et particulièrement au maroc*. cairo, egypt: communications faites au congresde médecine caire.
- 63-Renauld, H. (1923). *la peste de 1818 au maroc* (Vol. 3). Paris, Paris: Hespéris.
- 64-Renauld, H. (1934). *les maladies pestilentiellees dans l'orthodoxy islamique*. maroc, l'institut d"Hygiène du maroc.
- 65-Shaw, D. (1830). *Voyade dans la régence d'Alger*. Paris: P.é.
- 66-Tremsali, J. (1928). *un siècle de médecine coloniele française en Algerie*. (J. Barlier, Éd.) tunis: impremerie generale.
- 67-Viole, H. (1921). *la peste les rats les puces la bacille de la peste le diagnostic de la peste chez le rat*. melun, France: melun.